جانب من حديث أحد مشايخ الطريقة النقشبندية قدس الله سره حقيقة المصائب وأسباب المحفظ

بسم الله الرحمن الرحيم

جانب من حديث أحد مشايخ الطريقة النقشبندية قدس سره

حقيقة المصائب وأسباب الحفظ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن على المؤمن أن يواجه كل ما يحدث من زوابع بالتوكل على الله تعالى، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، فإن قدر الله علينا أي أمر فسيحدث حتما، إن كان خيرا فهو يقدر الخير بأيدي أهل الخير، وإن كان غير ذلك فهو من تقديره أيضا، والمؤمن عليه بذكر الله وأوراده ودعائه في كل الأحوال، ومن لزم دعاءه وذكره فهو محفوظ بأمر الله.

الله يحفظنا ببركة تحاببنا وتراحمنا وتواصلنا وببركة إخلاصنا وقتالنا في سبيله، فالله يحفظنا بهذه الأمور، إن لم تكن كلهن فيحفظنا ولو بواحدة منهن من مصائب الدنيا، وإن المصيبة الحقيقية هي المصيبة في الدين؛ فالذي يستشهد ابنه هذه في الحقيقة ليست مصيبة لأن المصيبة هي الفتنة في الدين، ابنه إن لم يستشهد فهو لا بد أن يموت، فإن مات بشهادة - والشهادة فضلها إلى عنان السماء - فهذه ليست مصيبة وإنما بالحقيقة فرحة، وأهله لا يدوم بكاؤهم عليه إن كانوا عقلاء فيحتسبونه عند الله، نعم.. إن الفتنة في الدين والمحاباة والمداهنة في الدين وترك الدين ومذلة الدين هذه هي المصائب، الارتداد عن الدين مصيبة، وبيع العرض والناموس مصيبة، وأما الغربة وأمثالها من متغيرات الدنيا فليست مصائب، وإن من باع دينه والعياذ بالله فالكرامة والعز والفضائل كلهن ذهبن، ومن هدم بيته فما هو إلا حجارات، ومن أخذ ماله فليأخذوه لأنه عرض الدنيا وهذه ليست مصائب حقيقية، المصيبة شيئان: العرض والناموس إن كان عرض الإنسان وناموسه غاليا عليه، والشيء الثاني الفتنة في الدين، وأما البقية فكلها هينة، الجوع والتعب واعتداء الآخرين عليك، هذه كلها هينة، الحمد لله ديننا وأعراضنا كلاهما محفوظان عند أحبابنا جميعا، كل الدنيا هي وقصورها وأموالها ولذاتها وشهواتها وسعاداتها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، نعم حتى جناح البعوضة، ولو عدلت ما سقى الله الكافر منها شربة ماء.

وإن من عناية الله تعالى بعبده أن يسهل له أسباب الحفظ من المصائب ويرزقه الأناة في تصرفه لأنها من الإيمان، في العجلة الندامة وفي التأني السلامة، عناية الله على قلب المؤمن وهو الذي يسدد له عقله ورشده وضميره وأحاسيسه بعنايته وتوفيقه، الله هو الذي يوفقه لكل خير، هو القابض وهو الباسط يبسط قلبه على الأمر الحسن، وهو الذي يقبضه عن أمر به معصية، يقبض قلبه حتى يبعده عنها، المؤمن ليس هو من يدبر حاله بل الله يدبر له، إن كان الأمر خيرا يبسط قلبه وإن كان شرا يقبض قلبه حتى يبعده عنه، الله يحفظه، الله يوفقه، الله يبعده عن العمل الذي به ذنب، فلا تظن أن هناك عملا طيبا وفقك الله له هو بتدبيرك وبشطارتك فهذا وهمٌ، بل قل هذا بفضل الله ورحمته وبعناية الله وتدبيره، ولا

النقشبندية / الشرعية

تظن أنك بشطارتك وفطنتك انصرفت عن سوء وإنما أيضا بعناية الله وحفظه صرفك الله عنه، والمسلم إذا اعتقد هذه العقيدة ارتاح، لكن عليه أن لا يكون اتكاليا لأن الاتكالية عقيدة منحرفة، بل عندنا عقل وعندنا إرادة، ويجب أن نعتقد أن كل هذه الأمور تحريكها بارادة الله، نعم الله أعطاك إرادة وأعطاك قدرة، لكن اعلم أن إرادتك وقدرتك غير مستقلتين وتبقى يد الله عليك بالمشيئة {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، «**الإنسان ٣٠**»، لكن نسبت القدرة والمشيئة لك وهذه النسبة نسبية وشكلية فصار مظهر العمل عليك، وفي الحقيقة هو أمر رباني وقدرة ربانية وتصريف رباني، وبما أن هذا العمل جرى عليك نُسب لك وصرت أنت محل التأثير فقط والفاعل الحقيقي والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى، هو الذي أضحك وهو الذي أبكى، هو جملك هو قبحك هو أجهلك هو علمك، صرت أنت محل التجلي فصارت نسبة العمل لك حتى يكرمك الله، هو سخرك حتى تعطي ونسب الكرم لك، هذه من رحمة الله عليك ومن لطفه بك، من محبته لك يريد لك الخير، يخلق الخير ويرتبه وينسبه لك، يلهمك إياه ويوفقك له بتصريفه هو، وهذا ليس معناه أن تترك التدبير ولا تخطط، لكن اعلم وافهم وتدبر أمرك والمسالة زمامها بيد الله، منشؤها وخلقها بيد الله، وأنت محل التأثير، فإن كنت محل تأثير خير فاشكر الله لأن هذه من رحمته ولطفه، وإن كان غير ذلك فاحذر وإياك والمعصية، اخلع منها بسرعة وبادر إلى التوبة ولا تتأخر لأنك إذا تأخرت وسوفت التوبة لا سمح الله فهذا باب من أبواب التهلكة وهلك المسوفون.

ثم لماذا قدّر الله عليك المعصية؟، إن فزعت ووجلت وذعرت وخفت فاعلم أنك محبوب، وهذا التقدير من الله بالمعصية ليلجم عنفوانك وأنفتك، يريد أن يذلك له، فإذا تبت أليسك لباس العز لأن إسراعك للتوبة هو إسراعك للتذلل له، يريد أن يكسرك له ليجبرك أكثر من قبل، وعلى سبيل المثال: (من شكى من ألم في يده وذهب إلى الطبيب ففحصها وقال هذه ستعوج على المدى البعيد فيتطلب كسرها حتى تجبر على عدالة)، لله المثل الأعلى، هكذا يكسر عبده حتى يجبره، ما كسره وجبره إلا لإرادة ورفعة وفضل أكبر، والله تعالى يكسر عبده المحبوب ويجبره، اما المبغوضون فيكسرهم ولا يجبرهم.

إن الناس تندم على فعل المعاصي يوم القيامة، كل الناس يندمون يوم القيامة إلا الانبياء والملائكة، العاصي نادم لأنه فرّط بالتوبة، والمؤمن نادم لأنه ما استزاد من الخير الذي رغّب الله به لأنه لا بد وأن يكون فرط بوقته يوما ما، لكن هناك فرق بين الندمين {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ}، «**السجدة ١٨**».

إن علينا أن نلتزم بأورادنا وبدعاء الحفظ ونسترشد بارشاد الله ونلاحظ حركات وسكنات قلوبنا من الوسوسة والغش والمكر ملاحظة دقيقة، هذه إذا التزمناها وحاولنا عليها بجد فلن يقدّر الله علينا السوء، فليس هناك تقدير يسري إذا لم تسبقه إرادة الله، ارجع إلى أصل المسألة، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، يريد بنا اللطف والخير، لكن الإنسان خلقه الله متسرعا بطبعه ذا قدرة محدودة، وهو ضعيف وصبره محدود وأحاسيسه محدودة، ومع هذا قد يقدّر الله على عبده التقدير المر ويعطيه الصبر بقدر ما ابتلاه، ويعطيه العلم بقدر ما عمل به، ويعطيه نعمة بقدر ما شكر على ما أعطاه سابقا، يعني نعمة مستزادة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا.